باسم امين

المسألة الفلسطينية بين الحزب القومي و الحزب الشيوعي

ايار ١٩٧٠


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

باسم امين

المسألة الفلسطينية

بين

الحزب القومي و الحزب الشيوعي



ايار ١٩٧٠


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

تمهيد

— ١ —

قال الحزب الشيوعي : القومية ظاهرة بورجوازية يجب ازالتها . والقوميون السوريون بورجوازيون فاشستيون عملاء .

فأجابه الحزب القومي : بل الأممية خيانة قومية . والشيوعيون عملاء للمستعمر الجديد : موسكو .

وهكذا ، بدأت الحرب الباردة ، وأحياناً الساخنة ، بين هذين الحزبين العقائديين في المنطقة منذ ما يقارب الثلاثين عاماً . حتى أصبح مألوفاً لدى المواطن ان يكون الشيوعي العدو رقم واحد للقومي الاجتماعي ، أو العكس . وبقيت حرب « داحس والغبراء » بين هذين الحزبين الى ان انعقد « المؤتمر القومي الاجتماعي العام » في اواخر عام ١٩٦٩ وصدر اثر انتهائه بيان القاه الدكتور عبدالله سعاده بتاريخ ٢٨ ك٢ ١٩٧٠ . ماذا في البيان ؟ لنقرأ الفقرة ح : « اقامة الحوار الايجابي المتلاقي مع كل الحركات الثورية في الامة والعالم العربي.

والانفتاح على كل الحركات الثورية التحررية في العالم التلاقي معها ومساندتها وكسب مساندتهـــا لقضيتنا القومية » .
ويسأل الصحافيون : « ما هي الحركات الثورية في العـــالم العربي والخارج التي يمكن للحركة القومية الاجتماعية ان تتعاون معها ؟ » ويجيب الدكتور سعاده : « كل الحركات التي تنحو في نضالها منحى منطق تطور التاريخ الاجتماعي الرافض للتخلف والاستعمار والاستغلال والتجزئة القومية ، هي في نظرنا حركات في خط تقدمي ، تتمايز عن بعضها البعض بنسبة تقدميتها ، ولكنها جميعاً في خط التقدمية . هـــذه الحركات ندعوها مخلصين ـ دون احساس بعقدة النقص ودون احساس بعقدة التعالي ـ الى وجوب التعاون والتساند لانتصار القاعدة الاساسية التي تجمعنا. وان نترك منافستنا على التفاصيل الى ما بعد انتصارنا في الخط التاريخي التقدمي . لان المعركة عنيفة ومصيرية ».

ويعود الصحافيون الى السؤال : « هل ينوي القوميون الاجتماعيون الانتساب الى جبهة الاحزاب التقدمية التي تضم مجموعة الاحزاب اليسارية في لبنان » . ويأتي جواب الدكتور سعاده : « نحن مستعدون ان نتعـــاون مع كل من يؤمن بالتقدمية دون عقدة نقص او عقدة خوف . فاذا كان غيرنا يخاف منا ، فنحن لا نخاف منه » .

وفي سلسلة اللقاءات التي نظمتها جريدة « الجريدة » مع

جميع الاحزاب في لبنان بلا استثناء ، جرى الحوار التالي بين مندوب « الجريدة » والدكتور سعاده :

س ـ « مضى حوالي شهرين على دعوتكم الموجهة الى الاحزاب العقائدية للحوار واقامة الجبهة ذات برنامج . من هي برأيكم الاحزاب العقائدية ، وما هو تجاوب كل منها مع هذه الدعوة ؟

ج ـ الاحزاب العقائدية التي عنيت هي الاحزاب التي تقدم نظرة اجتماعية في خط التطور التقدمي. وتنحصر هذه الاحزاب في الجبهة اليسارية ، لأن اليمين في محافظته على القديم المتخلف وتعلقه به هو دائماً رجعي ، وهو في أحسن حالاته لا يقدم الا اصلاحات مؤقتة يهدف منها الاطالة بعمر الانظمة المتخلفة ، وحمايتها من الثورية الجذرية .

أما الجهة التلبية فيبدو ان الاحزاب لا تزال تهيمن عليها الذاتية وبخاصة الاحزاب الماركسية التي ترى في عقيدتنا تحدياً لنظريتها يدفعها الى المناوأة بدل الحوار . غير اننا سنبقى مصرين على الانفتاح ودعوات اللقاء لان الجامع المشترك يجب ان يتقدم على القاسم المفرق . مع الاحتفاظ بحق الجميع بالتمايز في الرأي والاختلاف بالتقدير » .

ومنذ المؤتمر الصحفي في « ملكارت » ، الى لقاء « الجريدة » مع الاحزاب ، وأنا مستنفر ذاتي أنتظر بتحرّق رد فعل الحزب الشيوعي على النداء الايجابي من « عدوه التاريخي اللدود » .

ولكن الدهشة الممزوجة بالفرح التي اعترتني منذ قراءتي لعرض السلام من احد الطرفين المتنازعين، قد تبددت، وذلك حين اجاب الطرف الآخر بشخص الاستاذ نقولا الشاوي على النداء ـ السلام بهذه الكلمات :

س : « ما رأي الحزب في النداء الذي وجهه الحزب القومي الاجتماعي في مؤتمره الاخير لاقامة جبهة تضم الاحزاب العقائدية؟

ج ـ فيما يتعلق برأينا بما سميتموه « بالنداء الذي وجهه الحزب القومي الاجتماعي في مؤتمره الاخير لاقامة جبهة تضم الاحزاب العقائدية » .. يمكن القول اننا حتى اذا ما تجاوزنا المآخذ المبدئية الأساسية التي لنا على القوميين السوريين والتي تدحض بصورة تامة الصفة التي يحاولون البروز بها كحزب عقائدي ـ لا نرى لا في تاريخ وممارسة القوميين السوريين السابقة المدانة وطنياً وشعبياً ، ولا في سلوكهم السياسي الحالي المنسجم مع نهج القوى الرجعية الاخرى ، ما يمكن ان يتخذ اساساً لطرح فكرة انضمام القوميين السوريين الى جبهة القوى التقدمية. ومن البديهي ان الزي الجديد « اليساري » الذي يلبسه القوميون السوريون في الآونة الأخيرة لا يمكن اعتباره دليلاً جدياً على أي تحول ايجابي في سياستهم ومواقفهم. وانما جاءت هذه الظاهرة كمحاولة منهم لمسايرة الجو العام الذي يسود بين الجماهير الشعبية بهدف الخروج من العزلة التي أحاطت بهم نتيجة سياستهم ومواقفهم الفاشستية المدانة ، وسعياً وراء جذب الجماهير التي تتوجه بصورة عفوية نحو اليسار ، ونحو القوى التقدمية والاشتراكية ، تمهيداً

لمحاولة القيام بدور معاد للحرب التحررية العربية والحركة الشعبية اللبنانية ، ما عاد بامكانهم القيام به بعد العزلة الفظيعة التي أحاقت ونحيق بهم . »

— ٢ —

الآن ، لو كان هذا الحوار غير المباشر قائماً بين غير هذين الحزبين ، وفي غير هذه الظروف التي تمر بها المنطقة ، لكنت مررت عليه مرور الكرام. اما وانه قائم بين الحزبين العقائديين المنظمين ، الذين يمكن التأكيد بانهما ، حتى الآن ، الوحيدين بين جميع الأحزاب ، يستحقان تسمية الحزب بكل ما لحجم هذه الكلمة من مضامين . ثم لأن كل واحد منهما ، منذ نشأته الى اليوم ، يناضل بأسلوبه الخاص ضد الاستعمار والرجعية ، وقد لاقى جزاء نضاله التشريد والقتل والحرمان من عدويه المتحالفين. ضف الى ذلك ان كلاهما ممنوع من « الصرف » في ظل النظام القائم ، مع الأخذ بعين الاعتبار القدر المعيّن من الحرية الذي يتمتعان به ، والمتراوح في زئبقيته بين حده الأقصى المتضمن اصدار مطبوعه والترخيص لمهرجان ، وحده الأدنى الذي يقوم احياناً باحصاء الانفاس . والاهم من كل ما سبق ، هو موقف كل واحد منهما الان بالنسبة للمسألة الفلسطينيه . الحزب القومي يؤيد باطلاق هذه المسألة . والحزب الشيوعي كذلك . الأول يؤكد منذ مؤتمره العام في اوائل ملكارت مباشرته تكوين منظمة جديدة تتألف من المقاتلين القوميين في سائر المنطقة وهو

الآن يشترك في الكفاح المسلح القائم عبر أفراد من صفوفه . والثاني يؤكد ان منظمته الخاصة اصبحت في حيّز التنفيذ .

— ٣ —

هنا أود ان اعلن بان اطلاعي الباكر على مضمون العقيدتين ونضال الحزبين، جعلني لا اقبض الاتهامات المتبادلة . بل اعتبرت ان الاختلاف في العقيدة قد سبّب الاختلاف في النضال ، مع عدم اقتناعي بشرعية ذلك. ذلك اني أظن بان التباين في وجهات النظر بين الفئات الواعية لا يحول دون تقاربها بل وتلاحمها خاصة في المجتمعات المتخلفة ، حيث تحالف الاستعمار والرجعية وعندنا الصهيونية أيضاً ، على أشده . لأن الخلاف القائم بين التقدميين عندنا يجب ان يبقى محصوراً في نقطة واحدة وهي : كيفية القضاء على الرجعية والاستعمار والصهيونية .

وليس الموقف الجديد الذي يدعو اليه الحزب القومي بلسان رئيسه إلا تعزيزاً لرأيي وتثبيتاً لقناعتي بصوابيته ، خاصة وان مصدر هذا الرأي هو أحد الطرفين المتنازعين .

— ٤ —

يبقى الطرف الآخر وموقفه السلبي الجديد ـ القديم . فهل هناك ما يبرر هذا الموقف غير كونه صدى لتقييم تاريخي ربما كان له بعض ما يبرره ؟ أجيب ليس من مبرر واحد بعد اليوم « يحتم » على الحزب الشيوعي ان يكون سلبياً ازاء

الحزب القومي ، بل على العكس : هناك سببان على الاقل يفرضان عليه الايجابية في هذا المجال: الاول ذاتي يتعلق بسلسلة مواقف الشيوعيين من المسألة الفلسطينية . والثاني موضوعي يتعلق بسلسلة مواقف القوميين الاجتماعيين من المسألة الفلسطينية . ولقد اكتفيت بالمسألة الفلسطينية مجهراً أتبين من خلاله حقيقة علاقة كل حزب منذ ولادته حتى قراءة هذه الكلمات بفلسطين على الصعيد الاعلامي ، الذي لا بد وان ينعكس على موقفه العملي في هذا المجال .. لأن المسألة الفلسطينية كانت وما تزال معياراً اساسياً يمكن تصنيف جميع الانظمة والاحزاب والاشخاص بالنسبة اليها ، ولأن الدعوة الايجابية التي نحن بصدد تبيان مدى صحتها ، كانت بالدرجة الاولى من أجل تضافر كل القوى في المعركة مع الصهيونية التي قد تطول عشرات السنين .

وحرصاً مني على الموضوعية المطلقة ، ارتأيت أن اتحاشى اي استنتاج في سياق السرد ولو كان مرتكزاً على حقائق ثابتة ، وان اترك للوثائق المأخوذة من مصادر لا يرقى اليها أي شك ، كلمة الفصل .

ب. أ.



الحزب الشيوعي والمسألة الفلسطينية

بالنسبة لعلاقة الشيوعيين بفلسطين ، أكتفي بعينة من الوثائق الممتدة من ١٩٤٤ الى ١٩٥٤ وعلى سبيل المثال فقط ، خاصة وان موقف الحزب القومي لم يعد سلبياً حيال الحزب الشيوعي بحجة « الخيانة والعمالة » . ان السبب في اظهار علاقة الحزب الشيوعي بالمسألة الفلسطينية هو سلبية الشيوعيين من القوميين رغم ان دورهم في المعركة الفلسطينية كان دون دور القوميين مما سوف تثبته الوثائق في باب « الحزب القومي والمسألة الفلسطينية » . عل ذلك يزحزح قيادة الشيوعيين من موقع السلبية في اتجاه التعاون مع القوميين من أجل فلسطين على الاقل .

•

فرج الله الحلو

كتب فرج الله الحلو في العدد ٨٢٦ تاريخ ١٣ و ١٤ - ٨ - ١٩٤٤ من صوت الشعب مقالاً بعنوان « فلتسقط الصهيونية المجرمة » ، وهو اول مقال عن فلسطين في هذه الفترة قال فيه:

« اجتاحت لبنان والبلاد العربية كلها موجة من الاستياء والقلق على أثر التصريحات التي صدرت عن زعماء الحزبين

الاميركيين الجمهوري والديمقراطي بعزمهم على جعل فلسطين وطناً قومياً للصهيونيين ...

« فالصهيونية حركة استعمارية هدفهـــا الاقتصادي تصدير الرساميل الى فلسطين وما جاورها من البلاد العربية وجعلهاجميعاً سوقا للاستثمار وتصريف البضائع. ومن هنا ابلغ الضرر والخطر، لا على فلسطين وحدها بل على الحيـــاة الاقتصادية في البلاد العربية كلها ...

« والصهيونية بحكم كونها حركة استعمارية، تناقض اهداف العرب التحريرية والاستقلالية على خط مستقيم ، فهدفها السياسي خلق نقطـــة ارتكاز متينة امينة للنفوذ الاستعماري الاجنبي في فلسطين اولاً ، ونقاط ارتكاز اخرى او طابور خامس للاستعمار في بقية الاقطار المجاورة ...

« لقد كنا وما زلنا نقول ان نضال العرب في فلسطين ضد الصهيونية ، ليس نضالاً بين عرب ويهود ، اي ليس نضالاً عرقياً ولا دينياً ... بل هو نضال سياسي ، نضال وطني ضد شكل من أبشع أشكال الاستعمار الاجنبي ...

« ان الصهيونية فاشلة حتماً ... وقضية العرب منتصرة حتماً .. » .

الشيوعيون في سوريا ولبنان

وفي عام ١٩٤٥ اقترح ترومان ادخال مئة الف يهودي من ضحايا الاضطهاد النازي في اوروبا الى فلسطين، كما كان الارهاب

اليهودي على الانكليز لا يزال مستمراً ، فعقد ممثلو الحزبين الشيوعيين في سوريا ولبنان اجتماعاً مشتركاً في دمشق بتاريخ ١٥ - ١٠ - ١٩٤٥ خصص لبحث موضوع فلسطين ونشرت صوت الشعب محضراً عنه في العدد ١٠٦٧ تاريخ ١٨-١٠-١٩٤٥ فيقول ان مكافحة الصهيونية ليست « عداء لليهود من حيث هم يهود . » وان « الصهيونية حركة رجعية رأسمالية عميلة للاستعمار وهدفها هو بسط سيادة الشركات الرأسمالية الاحتكارية الدولية على مرافق فلسطين وكل الاقطار العربية الاخرى . »

ويقول خالد بكداش في مهرجان اول ايار (مايو) ١٩٤٦ في دمشق ما يلي :

« ... نحن لسنا اعداء لليهود بل نحن اعداء للصهيونية ، اعداء قدماء لها ، فهي حركة استعمارية رأسمالية رجعية مهمتها في الغرب محاولة القاء الشقاق والتفرقة بين العمال اليهود وغيرهم من العمال في كل قطر ومحاربة الاشتراكيين ، ومهمتها فيما يتعلق بفلسطين خدع العمال اليهود وجرهم الى خدمة مآرب غريبة عن الديموقراطية والاشتراكية هي مآرب الاستعمار البريطـــاني والرأسمالية الصهيونية المندمجة بالرأسمال الانكليزي والاميركي.

« ... فالصهيونية اذن مصيرها الى الزوال والاضمحلال مع تطور الديموقراطية والافكار الاشتراكية الصحيحة في العالم ... فليس لنا نحن العرب ان نصيح اذن بالويل والثبور ، بل ان ننظر الى المستقبل بعزيمة وثقة ، فما دام المستقبل للحرية فهو لنا ... »

عبدالقادر اسماعيل

ويقول عبدالقادر اسماعيل في مقال له بعنوان « موقف الجامعة العربية من فلسطين :

« ان القضية الكبرى الموضوعة امـــام فلسطين هي قضية حريتها واستقلالها ومتابعة النضال لالغاء الانتداب والحكم المباشر ومكافحة الصهيونية والرجعيين من العرب الفلسطينيين الذين يساندونها بصورة مباشرة او غير مباشرة ، والكفاح لوقف الهجرة ، وازالة العراقيل التي تضعها الوكالات الصهيونية لمنع اليهود من الرجوع الى اوطانهم المحررة ...

« هذا وان مكافحة الهجرة الصهيونية والعراقيل التى تضعها وكالات الصهيونيين في سبيل رجوع الجماهير اليهودية ـ التي أوت الى فلسطين هرباً من الطغيان النازي ـ الى مواطنها الأصلية ، غدت أقرب منالاً واسرع نجاحاً ... » (صوت الشعب العدد ١٠٢٧ تاريخ ١-٨-١٩٤٥) .

ونجد في محضر الاجتماع المشترك للحزبين المنعقد في دمشق بتاريخ ١٥-١٠-١٩٤٥ والذي ذكرناه من قبل ، المقطع التالي:

« فان حل قضية فلسطين حلاً صحيحاً هو في الغاء الانتداب عن فلسطين واعلان استقلالها التام ، ومنحهـا حريتها وسيادتها الوطنية ، ووقف الهجرة الصهيونية مـــع السماح لليهود الذين يرغبون في ذلك بالرجوع الى اوطانهم المحررة في اوروبا والتي سادت فيها الديموقراطية ، واقامة حكم وطني ديموقراطي في

فلسطين يؤمن الحرية والحقوق الديموقراطية العامة لجميع المواطنين . »

ويقول فرج الله الحلو في مقال له في صوت الشعب بمناسبة وصول لجنة التحقيق الانكلو اميركية الى بيروت ، ما يلي :
« وليس لهذه القضية سوى حل واحد هو الغاء الانتداب الانكليزي عن فلسطين ، ووقف الهجرة اليها ، واعلان استقلالها ، وافساح المجال لتاليف حكومة وطنية ديموقراطية فيها ... »
(العدد ١١٦٥ تاريخ ٢٠-٣-١٩٤٦) .

خالد بكداش

وقال خالد بكداش في خطابه في مهرجان اول ايار (مايو) ١٩٤٦ المذكور آنفاً ما يلي :

« أجل في أعناقنا جميعاً ، واجب تأييد فلسطين لا الى أقصى حد ممكن فقط ... بل الى النهاية ، وبكل الوسائل ، وبكل صراحة ، ودون مراعاة لاحد ، ان في اعناقنا جميعاً لا واجب التأييد لفلسطين ، بل واجب النضال جنباً الى جنب مع فلسطين ضد الانتداب وضد الصهيونية وضد الوطن القومي الصهيوني ، في سبيل استقلالها وقيام حكم ديموقراطي صحيح فيها ... »

وتقول صوت الشعب في افتتاحية لها وبتوقيع « صوت الشعب » :

« ... والحكومة البريطانية تستطيع اذا شاءت ان تحل قضية فلسطين ، وتلبي مطالب العرب الذين لا يطلبون سوى الغاء الانتداب ومنح فلسطين امكان انشاء حكومة وطنيـــة دستورية ديموقراطية ... وهو حل لصالح العرب واليهود على السواء لانه يضع اساساً صالحاً لزوال التناحر والتباغض بين العنصرين وحلول التعاون والتفاهم . » (العدد ١٠٦٥ تاريخ ١٥-١٠-١٩٤٥) .

ويقول فرج‌الله الحلو في مقاله المذكور آنفاً ما يلي :

« امـــا مشروع انشاء دولة صهيونية او وطن قومي في فلسطين فهو يشكل اعتداء صارخاً على حقوق فلسطين ، كما انه لا يؤدي الى حل القضية الفلسطينية ، ولا الى حل مـــا اسموه القضية اليهودية المزعومة ، بل يزيد الموقف تعقيداً وخطورة ، اذ يساعد على استمرار جو العداء والحذر المتبادل بين سكان فلسطين انفسهم من جهة ، وبين الدول العربية و « الدولة » الصهيونية الاصطناعية من جهة ثانية ... »

ويزيد خالد بكداش في مقاله بعنوان « المرحلة الحاضرة في تطور قضية فلسطين » قائلاً :

« ان موقف التساهل بل التخاذل انمـــا يزيد المستعمرين والصهيونيين جرأة علينا : فهاهم يتكلمون صراحة عن مشروع التقسيم ... ولكن هنالك أدهى من ذلك ، فقد بلغت بهم الجرأة ان أصبحوا يقولون : مقابل كل ذلك ، اي مقابل الهجرة الجديدة

والتقسيم - تقترح انكلترا على اميركا دفع ١٠٠ او ٢٠٠ مليون دولار للعرب ...

« حينما قرأنا الخبر امس... احسسنا جميعاً بما يشبه الكلاليب تنشب في اعماقنا او بما يشبه الصاعقة تنقض على رؤوسنا !...

« ايها المستعمرون : ان هذه الامة لا تشرى... » (العدد ١٢٣٥ تاريخ ١-٨-١٩٤٦) .

ويعود فرج الله الحلو فيقول في صوت الشعب العدد ١٢٣٨ تاريخ ٤ و ٥-٨-١٩٤٦ .

« ... ان هذا المشروع - (مشروع التقسيم) - ، اذا استطاعوا تنفيذه ، يقضي قضاء تاماً على كيان فلسطين وعلى املها بالاستقلال والحرية ... واليوم يستطيع العرب ويجب عليهم ان يحبطوا مشروع التقسيم الجديد وينقذوا فلسطين من اخطاره وشروره ... »

وفي صيف ١٩٤٦ عقد الحزبان الشيوعيان السوري واللبناني اجتماعاً مشتركاً في شتوره بتاريخ ١٨ آب (اغسطس) ١٩٤٦ خصص لبحث القضية الفلسطينية وصدر على اثره بيان مشترك طويل جاء فيه حول موضوع التقسيم المقطع التالي : (صوت الشعب العدد ١٢٤٩ تاريخ ٢٢-٨-١٩٤٦)

« ... ان الحكومة البريطانية عازمة على تحقيق مآربها في فلسطين عن طريق تقسيم فلسطين، هذا المشروع الذي يعد وصمة عار مخجلة في جبين الانسانية . لقد استنكر الرأي العام العربي

مشروع تقسيم فلسطين واعلن رفضه رفضاً باتاً ، لانه افظع مشروع استعماري يمكن ان يبتلى به الشرق العربي ، واكبر خطر يهدد السلام في كل الشرق الادنى . »

وقياساً على ما جرى بالنسبة لسورية ولبنان ، اخذالشيوعيون يطالبون باصرار وتكرار ان تخرج المسألة الفلسطينية من أطارها الاقليمي ، وتطرح على الامم المتحدة .

وابتدأ الحزب الشيوعي حملته هذه عندما انعقدت دورة الجامعة العربية في بلودان لبحث قضية فلسطين ، بمقال في جريدة صوت الشعب وبتوقيع « صوت الشعب » العدد ١٢٢٠ تاريخ ١٤-٦-١٩٤٦ وبعنوان « اخراج قضية فلسطين الى النطاق الدولي . » تقول الجريدة :

«يقول بعض الاخوان القوميين من فلسطين وغيرها ان القضية لن تحل الا بالنضال ... ولكن هذا النضال في الظروف الدولية الحاضرة بوجه خاص يجب ان يدعمه ايضاً الحق الدولي ... ومهما كانت القرارات الدولية التي سنفوز بها وسواء أكانت ناجعة تماماً ام غير ناجعة تماماً ... فهناك على كل حال ربح واضح هو فضح السياسة الاستعمارية البريطانية امام الرأي العام العالمي وكشف النقاب عن حقيقة الحركة الصهيونية واظهار حقيقة موقف العرب الذين يتهمهم اعداؤهم ... بالعرقية وبالعداء لليهود ... »

وتقول الجريدة في عددها ١٢٣٩ تاريخ ٧-٨-١٩٤٦ وبتوقيع صوت الشعب :

« ... فان قضية فلسطين لا يمكن بوجه من الوجوه ان تحل بمفاوضات خارجة عن نطاق الامم المتحدة ومحصورة بين الحكومات العربية وانكلترا وحدها او بينها وبين انكلترا واميركا معاً ، مهما كان اساس هذه المفاوضات ومهما كان شكلها ..

« ان قضية فلسطين لا بد ان تخرج الى الميدان الدولي ... فاما ان تنتقل الى وصاية الامم المتحدة لتسير بها نحو الاستقلال ، واما ان تمنح استقلالها فوراً .. »

ويقول الشيوعيون في بيانهم المشترك الصادر بتاريخ ١٨-٧-١٩٤٦ .

« ... ان قضية فلسطين هي قضية دولية بالدرجة الاولى ! فالواجب الوطني يقضي على الحكومتين السورية واللبنانية بالاستفادة من حق العرب الدولي والعمل لعرض قضية فلسطين على مجلس الامن بوصفها مصدر خطر يهدد السلام في كل الشرق الادنى ..

« ان جميع قوى الحرية في العالم وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي الكبير الذي أيد سوريا ولبنان في مجلس الامن اروع تأييد لاجل الجلاء ، هي اليوم ايضاً بجانبنا في قضية فلسطين وهي تؤيد قضيتنا العادلة في مقاومة الاستعمار والصهيونية ، وفي المطالبة بالغاء الانتداب وبالجلاء والاستقلال والحكم الديموقراطي ... »

حرية وجلاء واستقلال

وحمل العدد رقم ١٥٠٧ تاريخ ١٩ و ٢٠-١٠-١٩٤٧ من جريدة صوت الشعب بياناً مشتركاً من الحزبين الشيوعيين اللبناني والسوري تحت عنوان « قضية فلسطين قضية جلاء واستقلال وحرية . » وهذا هو النص الكامل للمقطع المختص بفلسطين :

« ان قضية فلسطين تجتاز مرحلة دقيقة تتميز بتنوع وتكاثر المؤامرات الاستعمارية الانكليزية والاميركية الرامية الى اخراج هذه القضية عن حقيقتها وطمس معالمها واعطائها الشكل الذي يمكن المستعمرين من تنفيذ أهدافهم ومطامعهم .

« ان المستعمرين الانكليز ، وقد انضم اليهم في السنين الاخيرة المستعمرون الاميركيون ، قد عملوا دائماً لجعل القضية الفلسطينية قضية نزاع عنصري عربي يهودي. ولاجل ذلك سعوا ، يساعدهم زعماء الصهيونية ، الى تغذية التوتر والحقد بين العرب واليهود في فلسطين ، ومنع اي تقارب او اتفاق بين الطرفين . وكان هدفهم دائماً تأمين سيطرتهم والمحافظة على احتلالهم واستعمارهم . وها هم اليوم يستغلون الحالة التي خلقوها هم انفسهم لاجل تقسيم فلسطين واقامة دولتين فيها ، وهدفهم من ذلك هو هو ، تثبيت سيطرتهم واستعمارهم واحتلالهم بالتعاون مع خدمهم زعماء الصهيونية وعملائها ودعاتها .

« ولا ريب ان السياسة التي سارت عليها بعض الاوساط

العربية ، وخصوصاً تلك الاوساط المتصلة بالاستعمار الانكليزي وكذلك الاوساط ذات العقلية الاقطاعية الرجعية قد ساعدت في تنفيذ مآرب المستعمرين والصهيونيين في الدعوة للتقسيم وجعل القضية قضية نزاع عربي يهودي ، وبايجاد الحجج لدعم مزاعمهم القائلة باستحالة عيش العرب واليهود في دولة واحدة .

« ان الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني يعتقدان اعتقاداً جازماً بان قضية فلسطين هي قضية حرية وجلاء واستقلال ، وهم واثقان من انهما يعبران عن رأي جميع الوطنيين الديموقراطيين العرب في التأكيد بأن حل قضية فلسطين هو في الجلاء والاستقلال والغاء الانتداب ورفض مشروع التقسيم رفضاً باتاً ، كما يعتقدان بأن من الممكن ان يعيش العرب واليهود في فلسطين في ظل دولة ديموقراطية مستقلة واحدة .

« ان واجب الوطنيين الديموقراطيين العرب في نضالهم ضد التقسيم ، ان يقاوموا بقوة وحزم جميع المحاولات التي تحمل لواءها بعض الاوساط الرجعية المرتبطة بالاجنبي في الاقطار العربية، تلك المحاولات الرامية الى اخراج حركة التضامن العربي مع فلسطين من نطاق النضال ضد الاستعمار والاحتلال والصهيونية، وتحويله الى نضال عرقي عربي يهودي .

« ان الشرط الاساسي لنجاح النضال العربي ضد التقسيم هو في الوقوف بحزم وجرأة في وجه كل سياسة ترمي الى جر العرب لمثل هذه المغامرات التي لا يقتصر اذاها وضررها على قضية

فلسطين العزيزة ، بل تتناول مصلحة العرب جميعاً وتهدد استقلال سوريا ولبنان بالدرجة الاولى ونظامهما الجمهوري، كما تهدد مستقبل نضال بقية الشعوب العربية في سبيل الجلاء والاستقلال .

« ان العالم اجمع يجب ان يعرف ويقتنع ان نضال العرب لاجل فلسطين هو قبــل كل شيء نضال وطني ضد الاستعمار والاحتلال في سبيل الاستقلال والجلاء والديموقراطية .

« وان تضامن العرب في جميع اقطارهم مع فلسطين ، في نطاق النضال ضد الاستعمار هو السبيل الوحيــد القويم للفوز بتأييد القوى الديموقراطية في العالم واحباط مشاريع التقسيم والدولة الصهيونية، وتحقيق استقلال فلسطين وتحريرها من الاحتلال والانتداب ضمن دولة ديموقراطية مستقلة . »

امة في طريق التكوين

ومن مقررات اللجنة المركزية في اجتماعها المنعقد في بلدة صورات بلبنان عام ١٩٥٣ هذه المقاطع :

« وفي القضية الفلسطينية تبين ... ان الحوادث والتطورات اكدت وبرهنت صحة موقف الاتحاد السوفياتي من قضية التقسيم، وبالتالي صحة الموقف الذي اتخذه الحزب بتأييد قيــام دولتين مستقلتين عربية ويهودية في فلسطين ، والنضال ضد الحرب الفلسطينية ، رغم المقاومات التي لقيتها هذه الخطة من بعض العناصر المسؤولة في الحزب . »

ومن المهمات الرئيسية الموضوعة امام الحزب ... ايضاح مسألة فلسطين من الوجهة المبدئية ايضاً ، فاذا كان اليهود في العالم لا يؤلفون قومية ، فان اليهود الذين تركزوا في فلسطين اخذوا يؤلفون امة في طريق التكوين، فلهم مثل جميع الامم والقوميات حق تقرير مصيرهم بصرف النظر عن الظروف التي رافقت مجيئهم الى فلسطين ، وكذلك بصرف النظر عن الاتجاهات الرجعية المماثلة للاستعمار الاميركي التي تتميز بها البورجوازية اليهودية الصهيونية .

« ان المستعمرين الانكليز والامريكيين والرجعيين العرب والرجعية الصهيونية هم جميعاً يريدون بقاء العداء بين جماهير العرب واليهود لإلهاء هذه الجماهير عن النضال ضد الاستثمار والاضطهاد وضد الاستعمار الانكليزي والامريكي وضد الرجعية الحاكمة نفسها ... فمسألة العمل لسيادة السلام والتقريب بين الجماهير العربية واليهودية وفضح مآرب الصهيونية والرجعيين العرب من منع سيادة السلام والصداقة بين الشعبين هي مسألة هامة جداً لاجل تطوير النضال الوطني الديموقراطي في الاقطار العربية ، في الحاضر والمستقبل ...

« وينبغي القيام بنضال لا هوادة فيه ضد دعايات الرجعيين القائلة بان الخطر الصهيوني اعظم من الخطر الاستعماري ، او ان الخطر الاستعماري يمكن زواله ولكن الخطر الصهيوني اذا تمركز فلا يمكن استئصاله ... ويشبه ذلك قول البعض ان الدولة

اليهودية في فلسطين ، كدولة ، تؤلف خطراً على الشعوب العربية.
فالحقيقة هي :

«اولاً: ان الصهيونية هي خطر لانها عميلة الاستعمار الاميركي الانكليزي ...

«ثانياً : ان الدولة اليهودية هي مثل كل الدول البورجوازية ليست كلا موحداً متجانساً . فالنظرة اليها بهذا الشكل هي نظرة قومية بورجوازية شوفينية ... ويجب ان نذكر دائماً قول ماركس بان في الامة امتين ، وذلك يصح على الدولة اليهودية التي تناضل فيها الجماهير الشعبية اليهودية ، وفي مقدمتها العمال اليهود وطليعتهم الحزب الشيوعي في اسرائيل لأجل التحرر الوطني الديموقراطي ولاجل الاشتراكية ، مثلهم مثل الجماهير الشعبية العربية والعمال العرب . فكما ان الخطر على الجماهير العربية هو من فئات الاقطاعية والبورجوازية الحاكمة الرجعية عميلة الاستعمار ، فكذلك الخطر في دولة اسرائيل ناشيء عـــن البورجوازية الصهيونية الرجعية عميلة الاستعمار . ولا ريب ان احسن وسيلة لاجل التعجيل في تعميق التفريق الطبقي وتعميق الهوة بين العمال والجماهير اليهودية من جهة والبورجوازية الصهيونية من جهة أخرى هي استتباب السلام في فلسطين وقيام دولتين مستقلتين عربية ويهودية . فان ذلك ينزع سواء من الحكام الرجعيين اليهود او من الحكام الرجعيين العرب ، وطبعاً من سادتهم المستعمرين ، سلاحاً هاماً . اذ يمكن اذ ذاك النضال

بصورة انجع للتقريب وقيام اواصر صداقة وتفاهم بين الجماهير الشعبية العربية واليهودية . »

شجب العمل الفدائي

ونشرت جريدة « لسان الحال » البيروتية بتاريخ ٢٢ اب ١٩٦٨ مقررات الاحزاب الشيوعية التي تتضمن موقفاً صريحاً من المسألة الفلسطينية وذلك في ثماني بيانات ننشر منها ما يتعلق بموضوعنا :

« البيان الخامس : « شجب اعمال المقاومة داخل اسرائيل والاراضي المحتلة لانها لا تؤدي الى نتيجة فعالة وتعطي الحجة لاسرائيل في طلب المزيد من السلاح » .

« البيان السادس: « تأييد مساعي التسوية السلمية وابراز أهمية الدور الذي يقوم به الاتحاد السوفياتي من أجل تحقيقها » .

وأصدر المؤتمر توصية الى الاحزاب الشيوعية للاستناد اليها في الحقل الاعلامي :

« ان المؤتمر العام للاحزاب الشيوعية في البلدان العربية قرر تأييد قرار مجلس الامن الصادر في شهر تشرين ١٩٦٧ من أجل الوصول الى حل سلمي في المنطقة » .« وان الهجمات التي تشنها الجماعات الفدائية داخل اسرائيل والاراضي العربية التي احتلت بعد حرب الخامس من حزيران لا تعطي أية فائدة ولا جدوى لها ، لانها تقوي من عزيمة اسرائيل وتبرر لها طلب المزيد من السلاح والعتاد » .

رفض الحل السلمي

وأخيراً ننشر بعض اسئلة مجلة « الاحرار » البيروتية وأجوبة منظمة «الانصار» الشيوعية ، وتعليق للسيد « ابو عمار » رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية :

س – «ممن تتكون « قوات الانصار » ؟

ج – « تتكون قوات الانصار من الاحزاب الشيوعية في دول المواجهة – الاردن والعراق وسوريا ولبنان – وطبيعي ان عناصر هذه القوات لا تقتصر على الرفاق الشيوعيين . فالى جانب هؤلاء ينخرط في القوات كل من لديه العزم على المقاومة والقتال. فالانصار منظمة جماهيرية تتسع لابناء الشعب العربي وبخاصة الفئات المسحوقة منه لانها اكثر من غيرها صاحبة المصلحة في السير بالنضال حتى النهاية .

س – « هل يعتبر تشكيل « قوات الانصار » تخلياً من قبل الحزب الشيوعي الاردني والاحزاب الشيوعية الشقيقة عن تأييد قرار مجلس الامن ؟

ج – « ان الاحزاب الشيوعية لا تؤمن بالحل السلمي انطلاقاً من رفضها للعمل العسكري . ولو كان الامر كذلك لما شكلت « قوات الانصار » ، كقوات قتالية ، لم تقم الا لمقارعة العدو بالسلاح ، ومقارعته بالضراوة المعهودة عن الشيوعيين عندما يحملون السلاح .

ابو عمار يعلن عدم اعترافه بقوات الانصار

وقال السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية : « اننا لا نعترف بمنظمة « قوات الانصار » الفدائية طالما لم تطلعنا على موقفها في حقل العمل الفدائي وعلى سياستها ».

وقال عرفات « اذا كانت قوات الانصار تقصد تصفية آثار العدوان والعودة الى حدود ٥ حزيران ١٩٦٧ ، فالافضل لهذه القوات ان تبقى حيث هي ، لاننا غير مستعدين لقبول الحلول الناقصة » .

۞ ۞ ۞

خلاصة مواقف الشيوعيين

ويمكن تلخيص مضمون الوثائق التي استعرضناها بالنقاط التالية :

١ - التميز بين اليهود والصهاينة . والدعوة الى محاربة الصهيونية وحليفها الاستعمار لاقامة دولة تضم العرب واليهود يرفرف عليها التعاون والتفاهم .

٢ - رفض التقسيم لانه يقضي على كيان فلسطين واملها في الحرية والاستقلال .

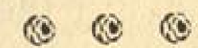
٣ - اخراج المسألة الفلسطينية من اطارهـــا الاقليمي

وتدويلها ، لانه لا يمكن ان تحل قضيتها بمفاوضات خارجة عن نطاق الامم المتحدة .

٤ – تأييد مشروع التقسيم الذي يؤدي الى قيام دولتين مستقلتين عربية ويهودية في فلسطين . لان اليهود في فلسطين أخذوا يؤلفون أمة في طريق التكوين ، فلهم مثل جميع الامم والقوميات حق تقرير مصيرهم بصرف النظر عن الظروف التي رافقت مجيئهم الى فلسطين .

٥ – رفض العمل الفدائي .

٦ – دعم العمل الفدائي .





الحزب القومي الاجتماعي والمسألة الفلسطينية

اذا كان موقف الحزب القومي من المسالة الفلسطينية سلبياً او مشبوهاً، فيكون موقف الحزب الشيوعي منه ، والتقييم الذي أضفاه عليه الاستاذ شاوي : في محلها . أما اذا كان موقفــه سليماً من فلسطين فيكون الشيوعيون على خطأ فيا يعملون ويقولون بهذا الصدد .. ولا يصلح من خطأم سوى التراجع عن موقفهم وتلبية النداء الموجه اليهم .

وجلاء لحقيقة علاقة القوميين بالمسألة الفلسطينية رأيت ان استعين بجميع الوثائق المرتبطة بهذا الموضوع ، ليس فقط خلال المراحل التي بدأت منذ تأسيس الحزب القومي عام ١٩٣٢ حتى اليوم ، بل قبلهـــا بعشر سنوات حيث تصدى انطون سعاده لهذه المسألة يوم كان في الواحدة والعشرين من عمره .

فماذا تقول الوثائق ؟ وأي تقييم يطلع به القارىء بعد معرفته بمضمونها؟ لنقرأ أولا :

●●●

كتب انطون سعاده هذا المقال في مجلة (المجلة) التي كان يصدرها والده العلامة الدكتور خليل سعاده في البرازيل في عدد شباط من السنة الحادية عشرة عام ١٩٢٥ وكان في الحادية والعشرين من سني حياته ، وذلك بمناسبة محاضرة القاها في سان باولو ، البرازيل ، على جمهور الجالية اليهودية في تلك المدينة مذياع صهيوني أم البرازيل في ذلك الوقت خصيصاً للدعاوة بين اليهود وبين الاميركيين ، للوطن القومي اليهودي ، وهو يدعى الدكتور موسنسن .

القضية القومية الصهيونية وامتدادها

الباعث على الحركة الصهيونية في الدرجة الاولى افكار جماعة تريد ان توجد من يهود العالم المختلفي النزعات والمشارب والمتبايني الاخلاق والعادات امة اسرائيلية، ومع ان هذه العملية غير طبيعية ، فان انتشارها بين اليهود المضطهدين جعل لها صفة امكانية الحدوث وهذا هو الفصل الاول من رواية الصهيونية التي جاء الدكتور موستسن من ارض الميعاد ليمثل بعض ادوارها في البرازيل .

لا نعترض على تأليف امة اسرائيل من يهود العالم لان اعتراضنا يكون اذ ذاك من قبل التدخل في شؤون لا تعنينا . واذا كان في امكان اليهود ان يؤلفوا امة واحدة فليفعلوا ولكننا نرى من باب الشعور مع اليهود ان ننصحهم بالعدول عن هذه المسألة لانها مسألة ليس من ورائها الا تعب ووجع رأس. لان الامة لا معنى لها اذا لم يكن لها بلاد تمارس فيها معتقداتها وافكارها واليهود لا بلاد لهم فضلاً عن انهم يكونون اليوم امة واحدة هم في غنى عن تكوينها لان لا مكان لها تحت الشمس . بيد ان الصهيونيين يريدون ان يكونوا الامة الاسرائيلية مهما كلفهم الامر وان يوجدوا لها مكاناً تحت الشمس وهو المكان الذي خرج منه الاسرائيليون كما دخلوا ، هو فلسطين ارض الميعاد ، وهذا أهم فصول رواية الصهيونية الغريبة .

لما كان لا بد للحركة الصهيونية من مبرر ، لجأ الصهيونيون

الى فلسفات غريبة وقالوا ان اليهود يجب ان يتخلصوا من الاضطهاد على انفسهم بيد اننا نعلم كما يعلم العالم كله كيف يعيش اليهود جماعات مستقلة وسط شعوب يأخذون من مالها وتهذيبها دون ان يفيدوها في شيء . لقد قام في بلدان كثيرة نوابغ يهود لا يعني ان هؤلاء ارادوا ان يعطوا الشعوب التي يمتصون دماء قلوبها بدل ما يأخذون. فالهيئة الاجتماعية لا تحكم لمجموع او عليه بمجرد النظر الى اعمال افراد قلائل منه ومتى اردنا التحليل سألنا سؤالا بسيطاً هو هل غيّر النوابغ اليهود صفة اليهود ؟

لم يقم قط نابغة يهودي تمكن من ان يغرس في قلوب اليهود صفة التقرب من الشعوب التي يعيشون بينها والتضامن معها في اعمالها الاجتماعية والعمرانية . ظل اليهود بنوابغهم كاليهود بلا نوابغهم يعيشون كالحلميات آخذين من قلب النهضة الاجتماعية بلا مقابل. أفبعد هذا يتذمر اليهود من اضطهاد الشعوب الحية لهم ؟

يوجد فريق من اليهود الراقين يفهم العلل واسبابها ويفهم عقم دعوة الصهيونيين ويحاربها من اجل اليهود كما من أجل الانسانية جمعاء وقد اشتهر من هذا الفريق مورغنثو سفير الولايات المتحدة السابق في تركية وله في هذا المجال حملات صادقة اثبت فيها فساد الحركة الصهيونية من وجوه كثيرة ولكن لا يمكننا ان ننتظر من هذا الفريق ان يشهر حرباً على الصهيونية فذلك ليس من شأنه .

لا يعضد الحركة الصهيونية في العالم الخارجي الا وعد بلفور بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود وهذا الوعد هو ضد الرأي العام

في الشرق والغرب معاً فلا الشعوب المسيحية ترضى عنه ولا الشعوب المحمدية ولا غيرها فضلاً عن ان فلسطين ارض سورية لا يجيز الحل الطبيعي والاجتماعي اخراج السوريين منها واعطاءها لطبقة منحطة من اليهود تأتي من نواحي بولونيا وما جاورها فهي مبعث المسيحية وقسم من البلاد التي ازدهرت فيها المحمدية .

رغماً عن كل ما تقدم ومن ان الحركة الصهيونية غير دائرة على محور طبيعي تقدمت هذه الحركة تقدماً لا يستهان به فاجراءاتها سائرة على خطة نظامية دقيقة اذا لم تقم في وجهـــا حركة نظامية أخرى معاكسة لها كان نصيبها النجاح ولا يكون ذلك غريباً بقدر ما يكون تخاذل السوريين كذلك اذا تركوا الصهيونيين ينفذون مآربهم ويملكون فلسطين .

حتى الان لم تقم حركة سورية منظمة تنظر في شؤون سورية الوطنية ومصير الامة السورية لذلك نرى اننا نواجه الان اعظم الحالات خطراً على وطننا ومجموعنا فنحن امام الطامعين والمعتدين في موقف تترتب عليه احدى نتيجتين اساسيتين هما الحياة والموت واي نتيجة حصلت كنا نحن المسؤولين عن تبعتها .

لا يسعنا في هذا الموقف الذي نعالج فيه احدى معضلاتنا الحيوية الا التصريح بالحقيقة التي تدمي افئدة الاحرار وهي انه رغماً من مشاهدتنا اليهود يجتمعون في كل صقع من اصقاع العالم للتآمر علينا مع المستعمرين وغيرهم لم تقم فينا حركة تميل الى الاجراءات الفعالة التي يشير بها الزعماء الذين كادوا يقتلون انفسهم

نفرادهم في الجهاد (اشارة الى الكاتب ووالده الدكتور خليل سعادة) . ورغماً من الاحتلالين الفرنسي والانكليزي ووجوب اتحادنا على التخلص من قيودهما لم يبلغ آذاننا خبر قيام حركة اتحادية كبرى تقوم بالدفاع عن حقوقنا في وطننا الذي يلقي عليه الغرباء قرعة بينهم .

هذه الحال من الجمود تحمل المرء على الاعتقاد بعدم وجود رجال سوريين او بندورتهم وهذا عار لا يمكننا التخلص منه بالجعجعة والوطنية الكاذبة فلو سألنا سائل كيف تتركون اليهود يشترون بلادكم ويطردونكم منها لاحترنا بماذا نجيبه ونحن في هذا الموقف لا نريد ان ننكر العمل الذي قام به سوريو فلسطين ولكننا نقول ان ذلك العمل لا يكفي لانه لا يشمل سورية كلها وينقصه التضامن الضروري لحياة الامم التي لا تتجزأ . فما دامت اعمالنا مترتبة على فئات قليلة لا يمكننا ان نقف في وجه التيارات الغريبة التي تريد جرفنا من بلادنا .

لقد دعونا ابناء وطننا ولا نزال ندعوهم الى التضامن والوقوف بعضهم الى بعض كالبناء المرصوص لكي نتمكن من الدفاع عن حقوقنا وصد هجمات المعتدين علينا وعلى وطننا ويسوؤنا كثيراً ان نرى كثيرين يقعدون عن تلبية دعوتنا وهم لا يدركون انهم يحقرون بذلك انفسهم وجنسيتهم تحقيراً يخجل منه كل انسان يعتبر نفسه انساناً حراً .

كل سوري اينما كان وحيثما وجد مسؤول عن الذل الضارب

اطنابه في بلاده والعبودية الواضعة نيرها على عنقه واعناق مواطنيه لذلك يجب على كل سوري سواء كان في الوطن او في المهجر، ان يعمل لانقاذ وطنه من الذل والعبودية منخرطاً في الاحزاب والجمعيات الوطنية التي تمكنه من خدمة وطنه خدمة فعالة تترتب عليها نتائج كبيرة وفيما سوى ذلك لا يمكن سوريا واحداً التخلص من وصمة العار الذي لم يجرب ان يزيلها عنه .

كل الاوطان تعتبر ابناءها الهاربين من وجه خدمتها انذالاً عقوقين وهذا الاعتبار لا يحتاج الى كفاية تنص على النذالة والعقوق فليس اسهل من معرفة النذل العاق من الوطني العامل بايمان واخلاص لان كل انسان تشهد عليه افعاله ولا يظن احد ان الجعجعة الباطلة تستر الحقيقة وكذلك لا يسترها اختلاق الاعذار والتفلسف الفارغ .

يقول فريق ان عمل المهاجرين لا يفيد ويقول فريق آخر ان المهاجرين هم الذين يجب ان يعملوا وعذر الفريق الاول هو ان العمل يجب ان يكون في سورية وعذر الفريق الثاني هو ان المتخلفين مضغوط عليهم كثيراً وبعكسهم المهاجرون. فالحق اقول لكم ان مؤلفي الفريقين يرون الواجب منتصباً امامهم يطالبهم بنصيبه من الانسانية والرجولة ويحاولون الهرب من وجهه بقتل الوقت بالتفلسف الفارغ انهم جبناء !. هذه هي الحقيقة التي كنا نبذل الجهد لنبقيها مكتومة ان لم يعد الى الكتمان من سبيل :

أليس من الجبن والتخاذل ان تجتمع في سان باولو حفنة من اليهود للتآمر على سلب السوريين قسماً كبيراً من بلادهم دون ان يكون لالاف السوريين الموجودين في سان باولو جمعية منظمة تنظر في مثل هذا التآمر المعيب وتعمل على احباط المساعي التي يقوم بها الصهيونيون لاخراجنا من بلادنا ؟ أليس من العار ان تعتمد الجالية السورية في صد هجمات الصهيونيين ، على افراد قلائل ليس في ايديهم من الممكنات ما يخولهم اتيان شيء فعال؟ ماذا يفيد عمل الافراد اذا لم تترتب عليه حركة فعالة تقوم بها جمعية او حزب يمثل الجالية ؟ الصهيونيون آخذون في عملهم ونحن لا نأتي عملاً الا الكلام الفارغ وقتل الوقت وفي حالة كهذه لا نرى كيف يمكننا الدفاع عن حقوقنا دفاعاً ناجحاً .

قال مورغنثو الذي أشرنا الية انفاً عن الحركة الصهيونية انها اعظم تضليل ظهر في التاريخ وقال ايضاً ان اليهود وجدوا في البلدان التي يقيمون فيها اوطاناً لهم فاليهودي الالماني وجد في المانيا صهيوناً أخرى واليهودي الانكليزي وجد في انغلترا صهيونا أخرى ومثلها اليهودي الفرنسي واليهودي الاميركاني الذي يمثله مورغنثو الذي لا يريد ان يترك صهيون اميركا يتعلق بصهيون كان فيه اجداده منذ نحو الفي سنة ولكن ما يصح ان يقوله مورغنثو لليهود لا يصح ان نقوله نحن السوريين (المغتربين) لان السوريين لا تزال لهم جنسيتهم وبلادهم فكل سوري يقول انه يجد في البلاد التي هو فيها سورية اخرى لا يبرهن الا عن تخاذل مكروه ومحاولة التملص من تبعة المسؤولية التي تضعها

عليه بلاده . صحيح ان البلدان التي ننزح اليها كالبرازيل وغيرها تشبه وطناً ثانياً لنا بما نجده فيها من حسن الضيافة وهذا يوجب علينا شكر هذه البلدان الحرة ولكنه في الوقت نفسه يوجب علينا الاهتمام بالبلاد التي رأينا فيها نور الحياة وعرفنا بقوميتنا التي يجب ان نحافظ عليها وان نقوم بواجباتنا نحوها . والذي لا يعتبر قوميته في سورية لا يعتبرها في بلاد أخرى .

نقف في هذه العجالة عند هذا الحد آملين ان يقع كلامنا على آذان مصغية وقلوب واعية منتظرين ان نرى كل سوري يلبي نداء وطنه كما يليق بكل سوري شريف لكي تتمكن من حفظ حقوقنا كاملة حية لها مكانها تحت الشمس والكيل لاعدائنا بالكيل الذي يكيلون به واكثر .

انطون سعادة

• • •

عام ١٩٣١ ارسل سعادة مقالاً هاماً الى جريدة «الفيحاء» الدمشقية يرد فيه على المستر لويد جورج بشأن المسألة الفلسطينية وهذا بعض ما جاء فيه :

عظة بالغة لجميع البشر

لست في حاجة الى ان ادلكم على مواضيع خطأكم لاني على يقين تام من انكم تعرفون جيداً ، كما انا اعرف جيداً : « بان تلك البلاد ، فلسطين هي جزء حيوي من وطن كامل غير قابل التجزئة لامة واحدة هي الامة السورية . »

تتكلمون عن « فلاح العرب والمسيحيين » بسبب نجاح الحركة الصهيونية . اما الفلاح فسأعود اليه فيما يلي ، واما قولكم « العرب والمسيحيين » ففيه خطأ قد يعيركم فيه باعة الجرائد عندنا لانه لا يوجد في فلسطين « عرب ومسيحيون » بل جماعة هي جزء من الامة السورية التي تحمل رسالة تنص في جملة موادها على انهاض العالم العربي اجمع .

اسمحوا لي يا مولاي ، ان اختتم جوابي هذا بالموافقة على ختام خطابكم التاريخي الذي جاء فيه : « ... يحق لنا ان ننتظر من هذه التجربة اموراً عظيمة لا تقتصر على فلسطين بل تتناول العالم اجمع، ليس لابناء اسرائيل فقط، بل لجميع ابناء الانسان». الحقيقة يا مولاي ، هي كما قلتم فان اموراً عظيمة - أموراً عظيمة جداً - ستترتب على هذه المحاولة الاثيمة التي لم يعرف التاريخ محاولة أخرى تضاهيها في الاثم ، واني اطمئنكم بان نتائجها لا تقتصر على فلسطين بل ستتناول العالم اجمع وان عظتها البالغة لن تكون لبني اسرائيل فقط بل لجميع بني الانسان !

ومن يعش يرَ .

انطون سعاده

دمشق في ١٨ ايار ١٩٣١

• • •

في سنة ١٩٣٣ ألقى سعاده خطاباً في الحفلة الافتتاحية للنادي الفلسطيني في بيروت .. وهذا بعض ما ورد في الخطاب:

خمس سنوات لايقاف الصهيونية

يا بني وطني ! ايها السادة :

يسرني ان أشعر باني غير مضطر الى اجراء معاملات رسمية والحصول على أجوزة مرور لكلامي الموجـــه الى بني قومي الفلسطينيين اولاً بمناسبة احياء النادي الفلسطيني الذي نحتفل الان بافتتاحه . واعتقد اني احصل على موافقتكم جميعاً اذا قلت ان ما كان وطناً واحداً لامة واحدة لا يزال حتى الان وسيبقى في الادوار الاتية وطناً واحداً لامة واحدة . فسوريانا ستظـــل سوريانا نحن وسوريا كم انتم وسورياي انا .

ولكن بما يؤسفني ويؤسفكم ان هذه الحقيقة السارة ليست الا حقيقة نظرية، حقيقة تكاد تكون وهمية بالقياس الى الفعل. فاني أخشى ان تكون سوريانا آخذة في الانزلاق من ايدينا المتفرقة ، ففي الجنوب تتراجع الخطوط السورية امام الحدود اليهودية وفي الشمال تتقاص الحدود السورية امام الحدود التركية وسورية الحقيقية صائرة الى تفاؤل مصطنع لا يجدر الا بقوم لا يعرفون من النهضة الا هبات متقطعة غير ناضجة اهدافهـــا ، وتخيلات لا عملية ، يغرهم لمعان سرابها .

ان الامة التي تنشىء نهضتها على الاخوة القومية الحقيقية المتولدة من الاشتراك الفعلي في الحياة الواحدة في الوطن الواحد امة تستغني بالانتساب الى حقيقتها عن الانتساب الى اوهامها ،

فالاوهام تزول ولا يبقى الا الحقيقة . اننا امة ليس لاننا نتحدر من اصل واحد بل لاننا نشترك في حياة واحدة في وطن واحد يحتم علينا ان نكون اخواناً قوميين متحدين في هــذه الجامعة الوطنية التي قل مثيلها ، من اجل كرامتنا نحن وحقوقنا نحن ومصالحنا نحن ووطننا نحن . والحقيقة ايها الاخوان ان وطننا من اهم ميزاتنا والسوري لا يمكنه ان يشعر انه في وطنه الا في سورية بلبنانها البديع وسهول وهضاب فلسطينها الخلابة واودية وانهر وغياض شامها وعراقها .

لكل امة قوميتها ومثلها . اذن فلنعتصم بقوميتنا السورية ولنقم بما هو مطلوب منا لتحقيق نهضة امتنا ولنتحد في عمل عام منظم . وانا ، ايها السادة ، انا العاجز اقول لكم انه يمكننا في خلال خمس سنوات ايقاف القضية الصهيونية عند حد تأخذبعدها في التراجع عنه وفي مدة عشر سنوات يمكننا ايقاف تقدم غيرنا على حسابنا وحساب وطننا عند حد لا يتعدونه يمتد على طول خط حدودنا القومية .

• • •

في ١٤ تموز ١٩٣٧ ، وعلى أثر قرار الحكومة البريطانية وتقرير البعثة الملكية ، قدم الاستاذ سعاده مذكرة الى العصبة الأممية والامم المتمدنة .

وهذا بعض نص المذكرة :

التقسيم خرق لوحدة الوطن

كان جنوب سورية مقراً الكنعانيين الذين اتخذوه وطناً لهم وعرف باسمهم فسمي في احاديث اليهود ارض كنعان . فجاء العبرانيون الى هذه البقعة عشائر بربرية متبدية واخذوا يعيثون في الارض ويخربون وينهبون ومع الوقت استولوا على بعض المدن والاراضي وانشأوا فيها امارة خاصة بهم ، واخذوا من الشرائع الكنعانية شريعتهم ، ولكنهم ظلوا تجاه اهـل البلد الاصليين وغيرهم من الشعوب غرباء يحتاجون الى توطيد اقامتهم بالسيف وظلت هذه حالهم الى ان ضربتهم الدولة السورية ضربة عظيمة وشتتهم الرومان .

من هذه اللمحة نرى ان « المسألة اليهودية » في العالم ابتدأت قبل الجلاء من سورية ، اي منذ مجيء العبرانيين « الجيرو » من البادية الى جنوب سورية ، وواضح ان اليهود ليسوا اصليين في البلاد وان وجودهم في فلسطين لم يجعل لهم صفة خلفاء لاهـل البلاد الاصليين . وواضح ان بقاءهم في جنوب سورية كان يجب ان ينتهي بذوبانهم في اهل البلاد ، فتفشت فيهم اللغة الارامية وغلبت عليهم عادات أهل البلاد وجاءت المسيحية تقول بالغاء الامتيازات الدينية لليهود وازالة الخصوصيات اليهودية .

نرى اذن ان ادعاءات اليهود في جنوب سورية ليست قائمة على اساس حقوقي . فلا يبقى سوى ادعائهم وعد الله اياهم بجعـل ارض كنعان ميراثاً لهم ، وهو عودة الى النظرة الخصوصية في

الدين ، ولم يؤيد الله وعده لهم في المسيحية ولا في المحمدية ولا في اي دين الهي آخر .

في سنة ١٩١٧ صرح اللورد بلفور تصريحه المشهور الذي تعد فيه الحكومة البريطانية اليهود بتمكينهم من انشاء وطن قومي لهم في فلسطين . وقيمة هذا التصريح هي في انه تصريح سياسي يقيد الدولة البريطانية باليهود . وليس لهذا التصريح أية قيمة حقوقية على الاطلاق ، وهو لا يقيد سورية ولا شعب جنوبها في شيء .

ثم ان المادة الثانية والعشرين من ميثاق العصبة الامية تمنع من الوجهة الحقوقية الانترنسيونية اي تصرف حقوقي من قبل الدولة المنتدبة يمس سيادة الامم المنسلخة عن السلطنة العثمانية المعترف بانها « امم مستقلة » اي ذات سيادة قومية على نفسها واوطانها .

ان اقتراح اعادة تقسيم جنوب سورية بحيث تنشأ دولتان سورية ويهودية ومنطقة انتدابية وملحقاتها هو مشروع تحقيقه يعني اهتضام حق الامة السورية وسيادتها على وطنها وخرق وحدة الوطن السوري وسلب سوريي الجنوب افضل اراضيهم ، وهو ينطوي على عملية اقتطاع اراض جديدة من السوريين وتسليمها الى « الدولة اليهودية » الموضوع بمهارة دبلوماسية من قبل البعثة الملكية .

وان تبني حكومة صاحب الجلالة البريطانية هذا الاقتراح

يخرق حرمة السيادة القومية للسوريين المعترف لهم بها في المادة الثانية والعشرين من ميثاق العصبة الامية وان تنفيذ مشروع تقسيم فلسطين لا يزيل اسباب الاضطرابات التي ما فتىء جنوب سورية مسرحاً لها منذ شرع في اعطاء تصريح بلفور العابث بحقوق الامة السورية مجرى التنفيذ بل يزيد اسباب هذه الاضطرابات بزيادة فاعليــة الضغط اليهودي الاقتصادي والسياسي وزيادة الظلامات السورية .

تجاه هذه الحقائق يعلن الحزب السوري القومي الاجتماعي عدم رضاه عن مشروع التقسيم ويدعو العصبة الامية والامم المتحدة والصديقة الى رفضه واعطاء الامة السورية حقها وتأييد سيادتها القومية .

في الرابع عشر من تموز ١٩٣٧
زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي
التوقيع : انطون سعاده

• • •

وفي خطاب له في اول اذار ١٩٣٨ يقول :

خطر اليهود يتناول لبنان

... ولا بد لي من التصريح في هذا الموقف ان الخطر اليهودي هو أحد خطرين امرهما مستفحل وشرهما مستطير . والثاني هو الخطر التركي . وهذان الخطران هما اللذان دعوت

الامة السورية جمعاء لتأييد الحزب السوري القومي الاجتماعي في مناهضتها ، في مواقفي العديدة منذ نحو سنتين . اما الخطر التركي فقد اصبح مداهماً بعد نزع السيادة السورية عن لواء الاسكندرون . واما الخطر اليهودي فقد أصبح مداهماً بعد فشل ثورة ١٩٣٦ وتدخل عناصر غير سورية في مسائلنا الجنوبية .

ولا ينحصر خطر اليهود في فلسطين ، بل هو يتناول لبنان والشام ، انه خطر على الشعب السوري كله ، لان اليهود لن يكتفوا بالاستيلاء على فلسطين . ففلسطين لا تكفي لاسكان ملايين اليهود الذين اثاروا عليهم الامم النازلين في اوطانها بقدر ما حملوا لقضية قومية خاصة بهم وهم منذ اليوم يقولون : « الحمد لله اننا اصبحنا قادرين ان نمارس الرياضة الشتوية في ارض اسرائيل . » يعني التزحلق على الثلج في لبنان !

أيدرك اللبنانيون المغرقون في لبنانيتهم ما هي الاخطار التي تهدد الشعب اللبناني ؟.

• • •

وكتب في اول ايلول ١٩٤٤ مقالة بعنوان « حالة سوريا بعد الحرب ستكون صعبة جداً » في « الزوبعة » العدد ٧٩، وقد جاء فيها :

اليهود في مؤتمر الصلح

من أهم المشاكل الخطرة جداً التي سنواجهها بعد هذه الحرب

المشكل الصهيوني الذي صار خطراً عظيماً مداهماً يهدد بالقضاء على معظم آمالنا .

ان مئات الفروع اليهودية المنتشرة في جميع انحاء العالم المندمجة في المنظمة الصهيونية تعمل عملاً واحداً منظماً وترمي الى غاية واحدة واضحة هي : الاستيلاء على سورية كلها وتحويلها الى وطن قومي خاص باليهود ينشئون فيه دولة يهودية ذات سيادة واستقلال .

●●●

وفي « الزوبعة » العدد ٨٠ تاريخ ٤ ايلول ١٩٤٤ يكتب تحت عنوان « نفوذ اليهود في الواتيكان » :

اليهودية المخالفة للروحية الناصرية

منذ بضعة أشهر صدرت رسالة البابا فيوس الثاني عشر في صدد التوراة ، فكانت من أشد الرسائل البابوية خطورة وأكثرها تعديلاً للموقف الكاثوليكي الرسمي فيما يختص بالتوراة المعروفة في لغة الكنائس المسيحية بالعهد القديم .

كانت الكنيسة الكاثوليكية تكتفي ، منذ زمن الاصلاح ، بالانجيل المسيحي ، المعروف بالعهد الجديد ، مرجعاً للتعليم الديني ومصدراً للروحية الدينية المسيحية كلها . وكانت قراءة التوراة شبه محرمة على اتباع الكنيسة المذكورة . ولكن بعض البابوات السابقين أشاروا في رسائلهم الى التوراة واستحسنوا

درسها والعناية بها حباً بجلاء مسائل تتعلق بخصائص التفسيرات الدينية ، وقد خرجت رسالة البابا فيوس الثاني عشر التي نحن في صددها الان عن ذلك الحد باثبات وصية صريحة لقداسته نحث على القراءة اليومية للكتاب المقدس في العائلات المسيحية وتحرض الاساقفة على « تحبيذ مساعدة تلك الجمعيات التقية التي ترغب في نشر طبعات التوراة بين المؤمنين ، وخصوصاً نشر الاناجيل ، وان يسعوا بكل اجتهاد ان تقرأ في العائلات المسيحية باستقامة وتقديس » .

ان « تقديس » التوراة ومراميها اليهودية المخالفة للروحية الناصرية المعلمة المحبة والمساواة الانسانية هو من اهم « موجبات » العطف على اليهود ومطامعهم في سورية عند الشعوب الافرنتية.

ومع اننا نعلم ان « العطف » الذي تبديه بعض الدول الكبرى لمآرب اليهود هو ذو مصدر سياسي بحت ، فلا يمكننا ان نجهل او نتجاهل ان تعميم ذلك العطف في شعوب الدول المذكورة يجد في « تقديس » التأويلات اليهودية لوجود الله وعمله وحكمته تسهيلاً كبيراً واقبالاً واسعاً . ومما لا شك فيه ان اعتماد الكاثوليك « تقديس » صوت اسرائيل وبنيه وتقديس لعنة جميع الامم سيفتح مجالا جديداً للشفقة على « شعب الله المختار » ويوجد تأييداً له في محاولته الجديدة للاستيلاء على بلاد السوريين التي « وعده يهوه » ان يعطيه اياها ملكاً خاصاً به على تعاقب اجياله . والى تأييد يستطيع ادعاء اليهود حقوقاً في سورية نواله اقوى من

تأييد اعتقاد ملايين المتدينين القارئين « كلمة الله » في « كتابه المقدس » ان سورية هي لليهود بحق الهي مشروع في التوراة .

ان كثيراً من الذين يقرأون التوراة « بتقديس » كل يوم، ومنهم ملايين في اميركانية وبريطانية ، يرون في عودة اليهود الاستيلاء على سورية تحقيق وعدالله انه « سيجمع خرافه » بعد تشتيتها . وموقف السوريين المدافعين عن وطنهم وحقوقهم القومية هو ، في نظر اولئك المؤمنين، عصيان لمشيئةالله واحكامه، والعاصي يستوجب النقمة .

ان هذه المسألة لخطيرة جداً . ومهما حاولنا ان نكون متدينين واتقياء ورعين فلا يمكننا ، ولا بوجه من الوجوه ، اغفال الاخطار الاتية تحت جنح الشعور الديني لتنزل ضربة شديدة بحقوقنا بصفتنا امة حية لها حق السيادة على مصيرها ومصير وطنها .

لا نريد مطلقاً ، بالتعميات التي اوردناها صرف الفكر عن خطورة ما ورد في رسالة البابا فيوس الثاني عشر الاخيرة المتعلقة بالتوراة ، فهذه نقطة يجب ان لا تضيع بين مختلف المواضيع .

ان المساعي اليهودية قد فازت مؤخراً بنتائج كبيرة . والفضل في ذلك لوعيهم لقضيتهم وغيرتهم عليها وتنظيم اعمالهم في منظمة يخضعون لاحكامها ويعملون بتوجيهاتها .

اليهود يعملون للاستيلاء على سورية والسوريون اللاقوميون

يعملون لنكاية انطون سعاده والكيد للحركة السورية القومية الاجتماعية التي يقودها او لنكاية بعضهم بعضاً والكيد بعضهم لبعض .

ان الحركة السورية القومية الاجتماعية هي لجميع السوريين ونظامها افضل من كل ما تمكن اليهود ، حتى الان، من انشائه. فيا للعار ان يهمل السوريون نظام نهضتهم ومبادئها ويقتلوا قضية امتهم ووطنهم بخناجر عنعناتهم ويدعوا اليهود يفلحون بنظامهم ويستولون على اموالهم وديارهم .

ولكن لا يشعر بالعار من لا يعرف العار ولا يعرف العار من لا يعرف الشرف .

ويا لذل قوم لا يعرفون ما هو الشرف وما هو العار .

●●●

ومن خطاب له في ٢ اذار ١٩٤٧ نقرأ هذه المقاطع :

انقــاذ فلسطين امر لبناني

ايها القوميون الاجتماعيون

ان جهادنا يستمر ، ويجب ان تذكروا دائماً ان فلسطين السورية ، ان هذا الجناح الجنوبي ، مهدد تهديداً خطراً جداً . ان ارادة القوميين الاجتماعيين هي انقــاذ فلسطين من المطامع اليهودية ومشتركاتها .

ولعلكم ستسمعون من سيقول لكم ان في انقاذ فلسطين حيفاً على لبنان واللبنانيين وامراً لا دخل للبنان فيه . ان انقاذ

فلسطين هو امر لبناني في الصميم ، كما هو امر شامي في الصميم، كما هو امر فلسطيني في الصميم .

ان الخطر اليهودي على فلسطين هو خطر على سورية كلها ، هو خطر على جميع هذه الكيانات .

وأعود فأقول ان هذه الكيانات يجب ان لا تكون حبوساً للامة بل معاقل تتحصن فيها الامة وتتحفز للوثوب منهـا على الطامعين في حقوقها .

ان كلمتي اليكم ايها القوميون الاجتماعيون هي العودة الى ساحة الجهاد .

●●●

ومن رسالة لسعاده في ٢ ت ٢ ١٩٤٧ الى « القوميين الاجتماعيين والامة السورية في صدد وضع فلسطين وحالتها الحاضرة وموقف الحزب السوري القومي الاجتماعي منها » نقرأ ما يلي :

مسؤولية سياسة الخصوصيات في كارثة فلسطين

يجيء هذا اليوم فتشعر الحركة القومية الاجتماعية كلها بألم شديد من الطعنة العميقة التي طعنت سياسة بريطانيا العظمى في الحرب العالمية الاولى وفي مثل هذا اليوم من سنة ١٩١٧ ، الامة السورية بها . ولكن هذه الحركة العظيمة لا تبكي من ألمها ولا تصرخ ولا تشكو ولا تئن ولا تتـأوه ، بل تزداد

ادراكاً لقيمة قضيتها وفهماً لنظامها وتمسكاً بعقيدتها ورسوخاً في ايمانها بقيادتها ومصيرها ، فتقف قوة عظيمة ، جبارة ، تحدق في الكون وتتأمل في المحيط والمسائل وتعد النفس لعمل خطير هو تغيير وجه التاريخ !

على اساس معاهدة سيكس - بيكو ، وقبل انتهاء الحرب وقبل وضع بريطانيا العظمى وفرنسا يديهما على سورية بالفعل ، رأت السياسة البريطانية انه لا يوجد ما يمنع بريطانيا من بيع فلسطين لليهود بثمن تحتاج اليه لتقوية نفسها في الحرب . من هذه النظرة السياسية نشأت فكرة التفاهم مع اليهود بواسطة ممثلي الحركة اليهودية « الصهيونية » . وعلى اساس هذا التفاهم أعطى وزير خارجية بريطانيا العظمى ، اللورد بلفور ، في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ وعد بريطانيا لليهود بتمكينهم من انشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، الذي أصبح يعرف بتصريح بلفور ، وفي سورية خاصة ، بوعد بلفور .

ذاك هو تصريح بلفور وتلك هي سوابقه وقواعده الحقوقية ، وهذا هو وجه المسألة الصحيح !

في فلسطين قامت الفئة السياسية تعمل على اساس لا قومي . فان العاملين هناك لم يعملوا على اساس الامة السورية والوطن السوري وحقوق الامة السورية ومصالحها ووحدة وطنها . بل عملوا على اساس الاعتبارات التي هي ما وراء القومية على اساس الاختلاطات العربية . فجعلوا اساس الحقوق القومية في فلسطين

الفتح العربي ، وجعلوا المستند الحقوقي لطلب ايقاف هجرة اليهود الى فلسطين وعد بريطانيا العظمى للحسين باستقلال العرب فأخرجوا الحقوق السورية القومية الاصيلة من اساس دعواهم واستندوا الى اعتبارات خارجية لا تقوم مقام حق الامة السورية الاصلي ، وجعلوا بالتالي الحقوق السورية مشاعاً لجميع دول العالم العربي .

عولجت مسألة فلسطين ، بتلك الطريقة وبتلك النظرة ،اسوأ ما يمكن ان تعالج به قضية ما . فقد وضعت حقوق السوريين الاصليين في البلاد على مستوى حقوق اليهود الداخلين عليها ، بجعل حقوق السيادة عائدة الى العرب الفاتحين بعد اليهود ، بحجة واهية تقول ان العرب دخلوا البلاد بعد اليهود ولذلك هم احق منهم بالبلاد !

اذا كان العرب احق من اليهود لانهم دخلوا البلاد بعدهم أفلا يكون الاتراك أحق من العرب لانهم استولوا على البلاد بعد العرب ؟ او لا يكون البريطانيون احق من العرب والاتراك معاً لانهم استولوا على سورية من الاتراك في الحرب العالمية الاولى ، ويكون بالتالي من حقهم ان يهبوها لليهود او من يشاؤون ؟

ايها القوميون الاجتماعيون : ايتها الامة السورية

تلك كانت قواعد العمل القومي في فلسطين وفي كل بقعة من بقاع الوطن السوري وهي قواعد فاسدة لا تضمن للامة

السورية حقوقها ولا تفتح امامها طريق النهوض والتغلب على خطط الذين يريدون لهذه الامة الموت والفناء ٠ وقد رأيت فساد تلك القواعد من زمان طويل ورأيت انه لا يقوم امر هذه الامة الا بمبادىء وقواعد صحيحة تجد فيها الامة نفسها وحقوقها ومصالحها وطرق تقدمها وتفوقها . وباكراً جداً رأيت عقم السياسة والاساليب الوطنية المتبعة في فلسطين ورأيت ان جعل مسألة فلسطين مستقلة ومنفصلة عن مجموع المسائل التي تواجه الامة السورية كلها والتي يجب ان يعود البت فيها للامة هو امر باطل ، وأشد بطلاً منه اخراج المسألة الفلسطينية من نطاق قضايا الامة السورية وحقوقها وحدها وجعلها من حق دول العالم العربي جميعها . فعملت جهدي لاصلاح الحال ولإيجاد الاساس الصحيح لقضية فلسطين ولجميع القضايا السورية .

وبكل اسف أقول ان الفئات السورية السياسية العاملة لقضية فلسطين بالاساليب الرجعية والاعتباطية لم تأخذ بعين الاعتبار وجوب التعاون مع الحزب السوري القومي الاجتماعي .واستمر العمل الاعتباطي يسير على هواه مجازفاً بمصير فلسطين وبمصير الامة السورية كله .

باساليب العمل الاعتباطي حدثت « ثورة » ١٩٣٦ التي لا يعرف الا الله والراسخون في العلم لماذا ابتدأت ولماذا انتهت !

قيل ان تلك الثورة قامت لمحاربة اليهود فلما قويت وضج لها السوريون في جميع انحاء الارض القت سلاحها تاركة « لملوك العرب » متابعة القضية بالطرق السياسية مع بريطانيا !

تلك الثورة الاعتباطية قوت شوكة اليهود وافقدت السوريين الكثير من الدم الزكي والمال والمواسم . وعلى اثرها ازداد تسلح اليهود وامتدادهم في فلسطين !

ثم جرت سنة ١٩٣٧ محاولة ثانية لتكرار تلك الثورة ولكن المحاولة ماتت في مهدها ، لان السلاح كان قد ذهب ولان المال كان قد ذهب ولان الرجال فقدوا الثقة بتلك الخطط الاعتباطية!

ان النتائج التي وصلت اليها تلك الاساليب تشهد عليها !

انني لا أتعرض في هذا الاستعراض لاحد شخصياً . انني لا اعرف القضايا الشخصية . ولكنني أتعرض للقواعد والاساليب واتعرض للكوارث القومية التي انزلتها بنا تلك القواعد والاساليب الرجعية ، والاعتباطية ، ليس فقط في كيليكية بل في فلسطين والاسكندرونة والعقبة وغيرها !

استمرت « النهضة الخصوصية » في اهدافها واساليبها في فلسطين (وفي كل بقعة سورية اخرى) . وتجاه استفحال الخطر وتدخل دول كبيرة لمصلحة اليهود لم تتمكن تلك « النهضة » من ايجاد اي تغيير في اساليبها ونظرها . وهي في شللها وعجزها عن ايجاد قوة قومية صحيحة قدمت مظاهر مضحكة مبكية كتلك التهديدات البريطانية بالاتفاق مع روسيا من غير اي اساس صحيح لسياسة تفاهم مع الروس ، كأن الروس رهن اشارة بعض المشتغلين بسياسات صغرى ضعيفة لا ينتظرون غير ايماء او « غمزة » سياسية !

وبينا يظن اصحاب السياسات الجزئية اللاقومية انهم يتمكنون

من التهويل على بريطانيا بالسفر الى موسكو ، كان اليهود يتفقون سراً مع الروس حتى اجتمع ضد قضيتنا الفلسطينية الذين لم يجمعهم شيء آخر بعد الحرب العالمية الثانية !

ولما بلغت المسألة الفلسطينية طورها الاخير الانتونسيوني وتناولتها جمعية الامم المتحدة نفسها ماذا عملت السياسة الخصوصية في سورية : في فلسطين ، في لبنان ، في الشام ، في الجزيرة (ما بين النهرين) في شرق الاردن ؟ انها عملت بخصوصياتها واتكلت على « الجامعة العربية » !

ولما بات امر التقسيم مقرراً وصارت المسألة مسألة كيفيات وحيثيات قامت السياسة عينها المسؤولة عن وصول المسألة الى هذا الحد تنادي وتدعو الى « الجهاد » وتستفز وتحرض لتعيد تمثيل محاولة جديدة من تلك المحاولات الاعتباطية !

ان الاستفزاز والتحريض كان يجب ان يبدل بهما التنادي الى التعاون القومي المنظم . وان الحركة الحربية كان يجب ان تتهيأ من قبل لا ان ترتجل كقصيدة صغيرة في عرس !

ان السياسة الخصوصية الاعتباطية قد وصلت بالمسألة الفلسطينية الى النتيجة عينها التي وصلت اليها المسألة الكيليكية والمسألة الاسكندرونية ـ الى الكارثة ! والغريب انه بدلاً من ان ترى تلك السياسة افلاسها وتعترف به ، تطلب ان تجيش الجيوش لتأييده !

• • •

وألقى في جزين في ١٥ تشرين الاول ١٩٤٨ خطـــاباً قال فيه :

لم تكن حرباً مع اليهود

واذا اردنا درس فلسطين وكيف طارت من بين ايدينا وكيف صارت لشعب .. لما يمر على وجوده اكثر من نحو ثلاثين سنة . فمن المسؤول عن هذه النتيجة ؟

ان المسؤولية تقع على اصحـــاب سياسة الخصوصيات الذين ارادت كل فئة منهم ان تحتكر في فلسطين جزءاً يهمها وحدها وان تخرج به غنيمة باردة .

ان الحرب في فلسطين لم تكن حرباً مع اليهود ، ان الجيوش السورية والعربية والمصرية التي زحفت على فلسطين زحفت لا لتحارب اليهود قط بل زحفت لتحارب أهل فلسطين في أرض فلسطين .

ليس الجندي في ساحة الحرب مسؤولا عن ذلك . ان المسؤول هو الذي سير الجندي واوقف الجندي حين اراد ان يقوم وينتصر .

●●●

ومن مقال نشر في العدد ٩٥ من جريدة « كل شيء » :

العروبة أفلست

كان افلاس العروبة في فلسطين افلاساً كاملاً ، باهراً نادر

المثيل. انها ارادت ان تواجه قضية سياسية انترنسيونية من الطراز الاول بقضايا وهمية ومبادىء ميتة .

بعقلية الجهاد الديني ، الذي انتهى أجـله ومضى زمانه ، ارادت عروبة النفسية المريضة في سورية ان تعالج قضية قومية ممتازة ومسألة سياسية من أدق مسائل هذا الزمن . وفي حرب عصرية في عصر القوميات ارادت ان تحارب بجيش على مثال جيش « اليرموك » ، وان تحول انظـار السوريين الى الصحراء العربية واساليب العربة !

●●●

ونشر في جريدة « كل شيء » العدد ١٠٧ مقالا بعنوان « حق الصراع هو حق التقدم » ورد فيه :

خمول السلام وسلام الخمول

ان النهضة القومية الاجتماعية لا ترفض السلام العالمي الدائم بعد ان تكون قد حققت انتصاراتها العظمى التي تجعل للامة السورية مرتبة ممتازة في السلام وفي حقوق السلام . اما السلام العالمي بعد تجريد الامة السورية من حقوقها القومية في كيليكية والاسكندرونة وفلسطين وسيناء وقبرص ، وبعد تجريدها من مواردها الطبيعية فماذا يعني لها غير الذل والفقر والفناء ؟

ان هذه الامة تكاد تختنق من خمول السلام وسلام الخمول

وتكاد تتلاشى !

اننا لا نريد الاعتداء على احد ولكننا نأبى ان نكون طعاماً لامم أخرى . اننا نريد حقوقنا كاملة ونريد الصراع مع المصارعين لنشترك في اقامة السلام الذي نرضى به .

ان الحركة القومية الاجتماعية هي حركة صراع وتقدم لا حركة استسلام وقناعة . انها ليست مستعدة للتنازل ، بل للانتصار .

حق الصراع هو حق التقدم فلسنا بمتنازلين عن هذا الحق للذين يبشروننا بالسلام ويهيئون الحرب !.

●●●

ومن مقالة له بعنوان « النايو رجعيين العروبيين » هذا المقطع :

فلسطين والنيو رجعيون

« ... ان رجال الكلام والجعجعة بالمبادىء والتنعم بالدفء في سرائرهم ، هم ، في الحقيقة ، رجال النايورجعية العروبية والتابنتية الذين لم يقدروا ان ينظموا غير الطائفيات من نجادة سنية وطلائع شيعية وفلنج مارونية وغساسنة ارثوذكسية وغيرها في كل مكان من سورية الطبيعية ، والذين لم يقدروا ان يفكروا بغير الحروب الدينية ، فكان الجيش الذي فكروا بتشكيله ، جيش حرب دينية كجيش اليرموك . وكانت نداءاتهم الى

المحاربين في فلسطين تقول: « ايها العرب والمسلمون (المحمديون)» فلم تكن عقليتهم النايورجعية تسمح لهم بنظرة قومية صحيحة خالية من النعرة الدينية وظنوا انهم بادخال واو العطف على « المسلمون » يصلون بنايورجعيتهم الى الانتصـــار . فأجاب النايورجعيون المتلبننون على هذه النداءات بالقول في اوساطهم : « لا يعنينا امر فلسطين كما لم يعنينا امر الاسكندرونة » . وقالت رجعيات أخرى علوية وغيرها اقوالا تدل على فهمهـــا الواقع الرجعي في حرب فلسطين ! » .

●●●

ويقول في خطاب اول اذار ١٩٤٩ :

مصيبتنا بيهودنا الداخليين

ان الحرب قائمة بيننا : وهي ضرورية ليكون لنا الانتصار الذي نسير اليه . لم يتصلت اليهود على جنوبي بلادنا ويستولوا على مدن وقرى لنا ، الا بفضل يهودنا الحقيرين في ماديتهم ،الحقيرين في عيشهم ، الذليلين في عظمة الباطل .

ان الصراع بيننا وبين اليهود ، لا يمكن ان يكون فقط في فلسطين ، بل في كل مكان حيث يوجد يهود قد باعوا هذا الوطن وهذه الامة ، بفضة من اليهود . ان مصيبتنا بيهودنا الداخليين اعظم من بلائنا باليهود الاجانب .

... ان لنا في الحرب سياسة واحدة هي سياسة القتال:



هذه هي سياستنا الواحدة في الحرب . اما السياسة في السلم، فهي ان يسلم اعداء هذه الامة للامة بحقها ونهضتها .

●●●

اما الخطاب الذي القاه في « حفلة منفذية السيدات في برج البراجنة في اول حزيران ١٩٤٩ ، فيقول فيه :

صراع طويل شاق لمحق اسرائيل

منذ ذلك اليوم - ٢ تشرين الثاني ١٩٤٧ - والتاريخ يدور . وفي دوران التاريخ مرت احداث غيّرت اوضاعاً كثيرة على هذا المسطح الذي يعرف بسورية الطبيعية . فقد نشأت في الجنوب الغربي دولة جديدة هي الدولة اليهودية ، ومع ان الدولة الجديدة قائمة بالفعل ومع اني كنت اول من اعلن وجوب اخذ وجود تلك الدولة بعين الاعتبار ، فان تصريحي في ٢ تشرين الثاني ١٩٤٧ لا يزال قائماً لانه تصريح يربط ارادة امة حية بأمرها .

اننا قد أعلنا بطلان تلك الدولة ليس فقط من الوجهة الحقوقية الانترنسيونية القانونية بل من وجهة مبدأ القوة الذي يؤمن حق أمة في الحياة .

تقوم اليوم في الجنوب دولة جديدة غريبة كنت أترقب قيامها واعلنت انها ستقوم قبل ان تعلن هي عن نفسها لاني

كنت ارى التخاذل السوري سيوجدها حتماً . ولكني كما اعلنت قيام تلك الدولة اعلن اليوم محق تلك الدولة عينها .

اني اعلن محق تلك الدولة الغريبة ليس بقفزة خيالية وهمية ، بل بما يعده الحزب القومي الاجتماعي من بناء عقدي وحربي يجعل من سورية قوة حربية عظيمة تعرف ان انتصار المصالح في صراع الحياة يقرر بالقوة بعد ان يقرر بالحق .

ان محق الدولة الجديدة المصطنعة هو عمليـــة نعرف جيداً مداها . انها عملية صراع طويل شاق عنيف يتطلب كل ذرة من ذرات قوانا ، لان وراء الدولة اليهودية الجـــديدة الاساطيل والاسلحة لتثبيت وجودها .

فالامر ليس فقط مع تلك الدولة الجديدة المصطنعة . انه مع الدولة الجديدة ومع دول عظمى وراء الدولة الجديدة ! انه صراع طويل وشاق . ونحن نعرف جيداً انه كذلك ونسير بهذه المعرفة واثقين مطمئنين وهذا الاطمئنان نفسه يعني ان النصر في الاخير شيء اكيد لا مفر لنا منه .

●●●

وأخيراً الفقرة ٢ من مقررات « المؤتمر القومي الاجتماعي العام » المنعقد في ٢٦ - ٣١ كانون الاول ١٩٦٩ وقد أذاعه رئيس الحزب الدكتور عبدالله سعاده :

رفض الحل السلمي

توصيات لجنة الخطرين : الصهيوني والاستعماري :

حددت لجنة مكافحة الخطرين الصهيوني والاستعماري طبيعة المرحلة التي تجتازها امتنا وعالمنا العربي ، واعتبرت ان مجابهة هذين الخطرين التوأمين يجب ان تبقى شغل القوميين الشاغل وعملهم الاساسي في المرحلة الاتية . ومن ضمن هذه الرؤية يترتب عليهم درس مواقع القوى والتصادمات والتحالفات في ضوء هذه الحقيقة ، وفي ضوء تأمين سلامتنا القومية المهددة بالزوال الكلي.

وقد عبرت توصيات هذه اللجنة عن رغبـــة جميع القوميين الاجتماعيين وعن توقهم ، بحيث كان التصويت عليها في الجمعية العامة اجماعاً .

وهذه أهم مواد التوصيات :

أ ـ ان يمارس القوميون الاجتماعيون التزامهم الرسمي والكامل بالكفاح المسلح بممارسة فعلية .

ب ـ ان يعطى هذا الالتزام بالكفاح المسلح ، الاولية على سواه . بحيث يجعل القوميون الاجتماعيون التزامهم هذا شاغلهم الاسامي ومسؤوليتهم المباشرة ورائد اعمالهم في المرحلة المقبلة . على ان يكون رائدهم المرتقب وحدة القوى المقاتلة وتصعيد الكفاح المسلح ليأخذ ابعاد الثورة القومية .

ج ـ دراسة الشأن الصهيوني دراسة علمية دقيقة ، وتوضيح اخطاره على مستقبل امتنا ومصيرها ، وتحريك القوى الحزبية

والشعبية في الوطن والمغتربات ودفعها للتصدي للخطر الصهيوني والقوى المساندة له .

د - التنديد بالولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وكل القوى الاستعمارية المساندة للصهيونية - مالياً وعسكرياً وسياسياً - ، والدعوة الى مجابهتها مجابهة منظمة هادفة .

هـ - التوجه بالشكر والتقدير الى معسكر الدول الاشتراكية خاصة ، والى كافة الدول الاجنبية والقوى الصديقة التي تؤيد قضيتنا ، والى الدول التي لم تعترف باسرائيل . والدعوة الى توثيق العلاقات معها .

و - مقاومة دعاة الحل السلمي في الداخل وشجب مواقف مؤيديه في الخارج . وهذا منسجم مع سياسة القوميين الاجتماعيين الدائمة ، والمعلنة تكراراً في مناسبات مستمرة .

ان توصية لجنة مكافحة الخطرين الصهيوني والاستعماري جاءت مثبتة لموقف القوميين الاجتماعيين المبدأي والعملي من الكفاح المسلح ، الذي هو تعبير عن اصالة شعبنا ، والذي يشكل ظاهرة تاريخية فذة ، ونقطة تحول اساسية في تاريخنا المعاصر .

والنهضة القومية الاجتماعية تعتبر ان الكفاح المسلح جزء منها كما هي جزء منه من الناحية المبدئية . ولم يقتصر اشتراك القوميين الاجتماعيين في الكفاح المسلح على الموقف المبدئي فحسب ، ولا على موقف النضال الاجتماعي وتعميم التوعية والمسؤولية ، بل تعداه ، بالرغم من كل الظروف الضاغطة الى التجسيد الفعلي .

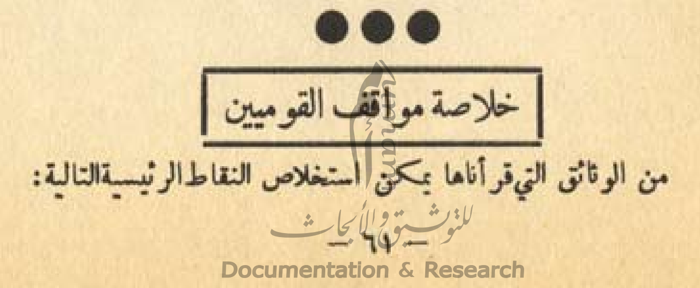
فمن استشهاد سعيد العاص وحسن البنا وعبدالرحيم الحاج محمد وسواهم في ثورة ١٩٣٦ ، الى معارك فرقة الزوبعة بقيادة الامين مصطفى سليمان في رام الله والقدس ١٩٤٨ ، الى طليعة العمليات في الضفة الغربية واستشهاد عدنان شريح وغيره ١٩٦٥ الى محمد أرشيد وعبداللطيف أرشيد ورفقائهما ، القابعين في سجون العدو لتنظيمهم حلقات المقاومة في الارض المحتلة ١٩٦٨ الى الاسهام في عملية حيفا الاخيرة ١٩٦٩

الى الشهيد محمد قاسم الذي شيعته بيروت بمأتم حافل .

الى نشاطات رفقائنا في مغترباتهم الواسعة بالجباية المالية ، وبالاعلام المركز في وجه الدعاية الصهيونية الناشطة .

والى كثير كثير مما يقوم به رفقاؤنا طوعاً في جميع المنظمات الفدائية بدافع من عقيدتهم ، حيث يؤدون الواجب القومي ضمن نظام هذه المنظمات ، بصمت كلي ، معتبرين ان الواجب القومي يتخطى الدعاية الحزبية .

الا ان التوصية تتجاوز العمل الطوعي الجزئي - على قيمته وصمته - الى مواقع العمل الكلي المصيري . واننا لآملون بتحقيق هذا التوق ودائبون على تجسيد هذا الواجب المفروض علينا وعلى كل مواطن في امتنا .



●●●

خلاصة مواقف القوميين

من الوثائق التي قرأناها يمكن استخلاص النقاط الرئيسية التالية:

١ - اعتبار معظم اليهود صهاينة وان كانوا غير منتمين الى الحركة الصهيونية .

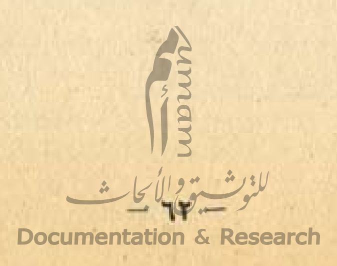
٢ - استثناء قلة يهودية تناهض فعلاً الحركة الصهيونية مع الملاحظة بأن تأثيرها على اليهود يكاد يكون معدوماً .

٣ - رفض التقسيم لأنه يفقد سورية الطبيعية عبر فلسطين جزءاً منها . بما يتناقض والسيادة القومية .

٤ - اعتبار الوجود اليهودي في فلسطين خطراً على الهلال الخصيب برمته انطلاقاً من خريطة الصهيونية الممتدة من الفرات الى النيل .

٥ - اعتبار الكفاح المسلح الوسيلة الوحيدة لازالة الخطر الصهيوني على ان يتبلور في ثورة قومية تشمل كل الجبهة الشرقية .

٦ - التنديد بالاستعمار الغربي وشكر المعسكر الاشتراكي على موقفه الايجابي الجديد من فلسطين .



خاتمة

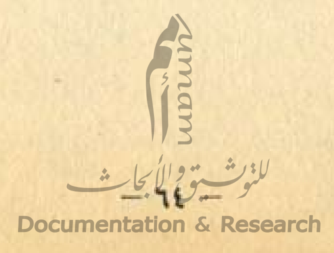
ليس أصعب من ان يتراجع الحزب عن موقف استمر على الالتزام به عدة سنوات . ولكن ، وفي ذات الوقت ، ليس اعظم من هذا الحزب حين يتخذ موقفاً جديداً على ضوء التطور الحاصل طيلة تلك السنين أو اثر نقد ذاتي تكشف من خلاله مدى الخطأ في موقفه السابق . مثل هذا التطور لا يحصل في التاريخ الا حين توفر ثلاثة عناصر جوهرية .

العنصر الاول : حركية العقيدة التي التزم الحزب النضال في سبيل انتصارها . وكلا العقيدتين حركيتان في أساسها. الشيوعية تنطلق من الجدلية أي الصراع المستمر بين الشيء ونقيضه . انهـــا اذن حركة دائمة لا متناهية . والقومية الاجتماعية تقول بان المبادىء للشعوب وليست الشعوب للمبادىء وان العقل الانساني هو الشرع الأعلى والشرع الاساسي في الحياة . انها اذن حركة دائمة لا متناهية .

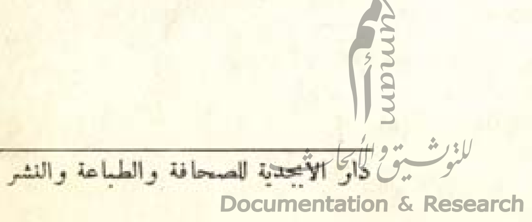
العنصر الثاني : ولكن الفكرة ، مهما كانت رائعة ،تبقى حبراً على ورق ان لم يتسنّ لها رجال يجسدونها ويزلقونها . فكما ان الفكرة تفعل في حاملها ، كذلك يفعل هو بهـــا .

ومأساة الافكار الكبيرة عندما يرثها رجال صغـــار اي متحجرون جامدون . فهل تكون القيادة القومية الاجتماعية او القيادة الشيوعية دون مستوى عقيدتها ؟

العنصر الثالث : حين يتعطل المحرض الذاتي في الحزب بفعل طغيان الدكتاتورية الوثنية المحنطة وتكون المأساة، كما قلنا في العنصر الثاني .. يأتي المحرض الموضوعي لينقذ هذا الكائن اللامأساوي في طبيعته . وتكبر المأساة وتطول اذا تأخر المحرض عن الظهور ، أو كان ظهوره وضيعاً . فأي عرَض يكون هذا الذي سيزحزح الشيوعيين والقوميين من موقع التصارع التاريخي الدامي الى جبهة الصراع الواحدة ضد العدو الواحد ؟ لنقرأ هذه الفقرة من تعليق لعصام محفوظ حول معركة العرقوب في جريدة « النهار » بتاريخ ١٤ ايار ١٩٧٠ ، علها تكون الجواب الحاسم : « وعندما بدأ تنفيذ « القصاص » حاول الغزاة الا ينسفوا غير بيوت الذين « تعاملوا » مع الفدائيين مساوين هكذا جميع الفرقاء . ففي راشيا الفخار مثلاً نسفوا بيتين ايضاً ، الاول للمنفذ في الحزب القومي الاجتماعي جورج معلوف، والآخر بيت المنفذ الشيوعي جريس حفيظ عبود » .




umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research



الثمن ١٠٠ غ. ل.

دار الأبجدية للصحافة والطباعة والنشر